رئيس التحرير والمسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب. ٤١٢٣ — تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

العدد الخامس
ايار (مايو) ١٩٥٨
السنة السادسة
No. 5 Mai. 1958
6ème année

العقل الانقلابي والجمهورية العربية المتحدة

بقلم الدكتور عبد الله عبد الدائم

عندما قام المسؤولون في مصر وسوريا يستجيبون لنداء الشعب وضغطه ويحققون تلك الخطوة القومية والانسانية الكبرى ، خطوة الوحدة بين الاقليمين ، وعندما اقبلوا على هذا العمل التاريخي الجبار دون ما استثناء او تلكؤ ، كانوا ينفذون حركة ثورية جذرية على الميدان السياسي من الوحدة العربية : وكانوا ينقلبون على كثير من المفاهيم التي آمن بها كثير من الناس وآمنوا بها هم انفسهم ردحا من الزمن .

وبهذا كانت هذه الخطوة خطوة انقلابية ثورية بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، لانها حملت بين ثناياها ثورة القائمين بها على عادات عقلية سابقة وعلى رواسب نفسية قديمة .

وقد تجلى هذا الموقف الانقلابي لدى المنفذين السياسيين للوحدة في امور كثيرة ابرزها في نظرنا ثلاثة :

اولها مقاومة موقف نفسي وعاطفي اصيل ، يعز على كل عربي ويجله كل عربي ، الا وهو الموقف الذي يشق عليه ان تقوم الوحدة بين البلدان العربية مقسطة منجمة ، ويتمنى لو تكتمل الوحدة منذ البداية فتكون شاملة ، ويحرص على ان تكون الحركة النضالية في البلاد العربية كلها حركة متواقتة متوازية في سائر اوجه نشاطها .

لقد كان كل عربي يؤمن بوحدة النضال وبوحدة الصف المناضل في البلاد العربية ، وكان يدرك ان اي تغيير في وضع بعض البلدان العربية لا يمكن ان يكون كاملا عميقا الا اذا ادى الى تغيير مماثل في البلدان العربية الاخرى .

غير ان المسؤولين الواعين في مصر وسوريا ادركوا ان مثل هذه الامنية الغالية ينبغي الا توقعنا في حرفية وحدة النضال العربي ، فنأخذ هذا المدلول على ظاهره اللفظي الشكلي ، ويخيل الينا ان وحدة النضال تستلزم مجيء سائر الخطوات موحدة شاملة ، وتفترض التواقت الزمني في كل شيء . فالبلدان العربية ، رغم وحدة المستوى القومي بين شعوبها ، تخضع لاعتبارات سياسية متباينة ، ترجع الى طبيعة الفئات الحاكمة فيها ، ولا بد بالتالي من التفريق بين النضال الموحد على مستوى الشعوب وبين العمل الموحد على المستوى السياسي .

وهكذا ادرك القائمون على الامر ان النضال في سبيل الوحدة كثيرا ما يقتضي النضال ضد الوحدة ، اي ضد الوحدة بين الفئات الحاكمة ، تلك الوحدة بين الحكام التي لا يمكن ان تقوم الا على اساس المسايرة والتنازلات والمساومات والخيانات القومية احيانا .

ولهذا كانت الحركة الانقلابية التي خلقت الجمهورية العربية المتحدة جريئة في موقفها هذا ، منقلبة فعلا على مفاهيم كانت تعيش في النفوس ردحا من الزمن ، مدركة ان من الواجب في سبيل الوصول الى الوحدة الشاملة فصل الفئات الحاكمة الرجعية في البلدان العربية عن صف الوحدة ، وفصل الوحدة عن هذه الفئات والتفريق بين وحدة الشعوب ووحدة الحكام .

وبهذا حقق الجيل الذي انفذ الوحدة بين الاقليمين انقلابا على مفهوم الجامعة العربية القديم ، ذلك المفهوم الذي ضلل فريقا من الناس ، وفريقا من المخلصين برهة من الزمن . وبهذا ايضا اعطوا للنضال العربي الموحد الشامل معنى ايجابيا ومضمونا فعالا ، بعد ان كان معناه سلبيا متخاذلا ،

في الشؤون العربية

وذلك حين جعلوا الجمهورية العربية الجديدة مركز الانطلاق الشعبي والحكومي معا في سبيل النضال العربي الشامل . وهم حين حققوا وحدة النضال العربي هذا بين الشعب والحكومة في الجمهورية الفتية جعلوا النضال في سبيل تحرير البلدان العربية الاخرى نضالا اكثر نتاجا وعطاء ، وأغروا الحركات الشعبية المناضلة في سائر البلدان العربية بالاقتباس والاقتداء ، اي بتحقيق الوحدة بين الشعب والحكام كبداية لتحقيق الوحدة بين بلدهم والبلاد الاخرى .

لقد ادركوا ، بقول موجز ، ان الوصول الى الوحدة القومية المكينة لا يكون قبل تمزيق اوصالها المريضة ، وأن لا بد قبل الجمع من الفرق ، على حد تعبير قول المتصوفة ، وأن الفصل سبيل اولى للوصل ، وان التوتر طريق الاستقرار .

والامر الثاني الذي عبر عن هذه العقلية الانقلابية لدى هؤلاء الذين عملوا على وحدة البلدين تجلى في تلك الخطوة الجريئة التي جعلتهم يلقون بأنفسهم اولا وبادىء ذي بدء في الوحدة السياسية ليذللوا ضمن هذه الوحدة وبقوة الوحدة مشكلات الوحدة .

لقد اخذ الناس في البلدان العربية فترة من الزمن بفكرة الفوارق بين الكيانات العربية القائمة . وكان كثير من المخلصين للفكرة العربية يتهيبون الوصول اليها نتيجة لما يرونه من فوارقه ظاهرية بين قطر وقطر . وكثيرا ما كانوا يعددون العقبات الكثيرة التي تعترض الوحدة ، سواء من الوجهة السياسية او الاقتصادية او الثقافية او غيرها . وكثيرا ماكان بعضهم يردد الفكرة الشهيرة التي لقيت رواجا كبيرا ، فكرة « اصفار سعد زغلول » ! ونعني بها تلك الفكرة التي ترى ان توحيد البلدان العربية صعب ، قبل ان يتحرر كل واحد منها على حدة وقبل ان ينضج كل واحد منها على حدة ، وقبل ان يتم التقارب عن طريق التباعد .

وهكذا اخذ الناس بفكرة تكاد تكون نقيض الفكرة الاولى التي كنا نتحدث عنها ، نعني فكرة التواقت في النضال وفي الوحدة ، وحسبوا ان لا بد من فراق طويل اولا ، آملين ان يؤدي هذا الفراق الى لقاء . وهم بهذا أخذوا من حيث لا يشعرون بالواقع المصطنع الذي خلقه الاستعمار ، فحسبوا الكيانات القائمة اصيلة وحسبوا الفرقة الزائفة طبيعية ، وحسبوا العقبات التي خلقها الاستعمار ومعه الفئات الحاكمة عقبات من جوهر الاوضاع ومن طبائع الاشياء .

اما الذين حققوا وحدة الاقليمين فلم يخفهم الفساد ولم ترعهم بذوره المتكاثرة ، وعلموا ان الفساد لا بد ان ينفرط عقده منذ ان تنفرط حبته الكبرى . لقد علموا ما هنالك من فوارق في النظم والاوضاع والحياة الاقتصادية وغيرها ولكنهم علموا ان هذه الفوارق لم توجد الا لان الوحدة السياسية غير قائمة ، وأن انحلالها وزوالها نتيجة طبيعية للوحدة . لقد كانت الفوارق قوية ذات شأن وكان تذليلها صعبا عندما كان البحث في تذليلها يجري على افق التفاوض بين دولتين تشعر كل واحدة منهما باستقلالها . سوى ان هذه الفوارق غدت في طريق الزوال من تلقاء نفسها بعد ان اصبح البحث في ازالتها يجري على افق الدولة الواحدة .

وهكذا تحقق جانب من احلامنا ، نحن المتأثرين بأجواء الفلاسفة . فلقد كنا نقول ــ وكثيرا ما لا نجد من يصدق ما نقول ــ ان النظر الى الصعوبات وتعدادها شيء مخيف لا ينجي منه الا انكارها وتجاهلها ، اي مجاوزتها الى خطوة فوقها تقضي عليها . لقد كنا نردد ان معالجة الفوارق القائمة بين البلدان العربية ذرة ذرة وقطرة وقطرة تؤدي الى استشرائها وزيادة الشعور بها ، وأن التغلب عليها يكون بعمل متعال عليها ، على حد تعبير الفلاسفة ، اي بقيمة ثورية جديدة محملة بالقوة والقدرة على الصهر ، وهذه القيمة الثورية المدخرة للقوة والحرارة هي الوحدة نفسها ، هي الوحدة السياسية التي تصدر عنها بعد ذلك سائر جوانب الوحدة .

وهكذا حقق موجهو وحدة الاقليمين انقلابا عميقا على مفهوم كان قوي الجذور في النفوس ، وعرفوا ان يخطوا خطوة البطولة الحقة ، تلك الخطوة التي لا تعترف على العقبات وتعدها غير موجودة وتقذف نفسها في تيارها لتصارعها بعد ذلك . وهم بلغوا هذه الرتبة حين اتحد لديهم العقل المدرك بالارادة الصادقة ، حين التحم عندهم قطبا القوة ، نعني الفكر والايمان . وقد جاء الواقع بعد ذلك مصدقا نبوءتهم وحدسهم ، فاذا بالوحدة تلهب الشعب وتلهب النفوس ، واذا بها تخلق مواطنين مستعدين لتناسي كل شيء في سبيل الهدف الاسمى ، واذا بالبحث في توحيد

قريبا

نزار قباني

شاعراً وانساناً

دارسة مستفيضة عميقة عن

الشاعر العربي الكبير

بقلم

محيي الدين صبحي

دار الآداب ــ بيروت

النظم والاوضاع يغدو ميسرا سهلا ما دامت وراءه ارادة الوحدة.

لقد حقق رواد الوحدة انقلابا على المفاهيم السائدة وعلى نفوسهم حين انقلبوا على فكرة البدء بالوحدات الجانبية الجزئية (من اقتصادية وعسكرية وثقافية وسياسية واجتماعية) من اجل الوصول الى الوحدة الكلية . فبدأوا بالكل وأخذوا يسحبون من الاجزاء ، وهبطوا من العام الى الخاص ، بدلا من ان يصعدوا في طريق طويلة غير مضمونة المخارج ــ من الشعاب والوديان ليشرفوا بعد ذلك على القمة.

لقد تخلصوا حقا من آفات التحليل العقلي الذي يوهم ان الشيء لا يصنع الا من اجزائه وعناصره ، وادركوا ان العمل الخلاق يصوغ البنية في جميع تقاطيعها وأجزائها ثم ينضج هذه الاجزاء ، وان كل كائن حي نتيجة كيان كلي وبنية متآخذة تتفتح معها اجزاؤها مع الزمن .

اما الامر الثالث الذي حمل هذه العقلية الانقلابية لدى موجهي الوحدة بين الاقليمين ، وهو امر ينتج عن النقطة السابقة ، فهو قطع الطريق حتى نهايتها في شوط واحد، بدلا من قطعها على اشواط ومراحل ، وذلك عن طريق الاخذ بالوحدة التامة بدلا من الاتحاد :

ان كل عمل ثوري عمل جديد فيه زيادة وخلق . ولا يصح ان يكون العمل الثوري مجرد تسجيل لواقع ومجرد تكريس لشيء قائم ، ولا بد فيه من خطوة جريئة ، خطوة تجاوز الواقع القائم . والواقع القائم في مصر وسوريا قبل الانقلاب كان واقعا اتحاديا ، وكان اعلان الاتحاد لا يحتاج الى اكثر من تكريس التسمية وبعض الخطوات البسيطة الاخرى . فمصر وسوريا كانتا خلال السنوات الماضية اشبه ما تكونان بالدولتين الاتحاديتين فعلا ، بحكم ما بينهما من وحدة في السياسة والثقافة والشعور. ولهذا كان اعلان الاتحاد بينهما ، على شكل دولتين اتحاديتين ، ضربا من وضع الشعار على شيء موجود فعلا . وما كان مثل هذا العمل جديرا بأن يسمى ثوريا بكل ما في الكلمة من معنى . وكان لا بد لارواء عواطف الجماهير التي جاوزت طور الاتحاد بين دولتين ، من خطوة حقيقية واضحة ، كان لا بد من الوحدة . ولهذا كان الاحتفال بالوحدة عميقا بهيجا ألهب النفوس . فالوحدة تبدت حقا عملا بطوليا ،أي عملا فيه زيادة جديدة عن مقدماته، فيه خلق جديد، فيه تحسس برغبات الشعب وتحقيق لها . أليس البطل من يتحسس بالرغبات الدفينة للشعب فيظهرها الى العيان ويجعلها صريحة بعد اضمار ؟

لقد شهدنا الناس في العام الماضي عندما كان البحث في اقامة اتحاد فدرالي بين مصر وسوريا يسير على الالسن . فما انسنا اكثر من التأييد والقبول . ما انسنا هذا الانقلاب في النفوس والمشاعر الذي شهدناه يوم تحققت الوحدة . ذلك ان حدس الشعب صادق عميق ، مهما يكن فطريا . والشعب العربي عاش منذ صغره على فكرة الوحدة التامة واغتذى بلبانها ، وما كان له ان يهبط بهذا الحلم الى صورة باهتة له .

والحق ان المخاطرة التي تولد من اقامة اتحاد ، اكبر من المخاطرة التي تولد من اقامة وحدة تامة،خلافا لما قد يخيل الى بعضهم . فالوحدة كما ذكرنا تذيب الفوارق بحكم كونها وحدة وبحكم كون التوجيه فيها واحدا . اما الاتحاد فمعروض الى خلق بعض الفوارق المصطنعة والى تغذية البقية الباقية من روح الانفصال ، ما دام الاتصال لم ينعقد بعد تماما . والوحدة تشق طريقها جارفة قوية لانها مؤيدة بروح الشعب وحماسته . اما الاتحاد فلا يقوى على اثارة روح الثورة في الشعب كاملة . يضاف الى هذا كله ان المولود ما دام غير كامل بعد ، فالامل في القضاء عليه اقوى، وهو يفرض وجوده ويقطع السبيل على اهل الردة اذا ولد كاملا مضمون الحياة .

هذا جانب من الروح الانقلابية التي حركت اولئك الذين عملوا على تحقيق الوحدة في الاقليمين. وغني عن البيان بعد هذا ان هذه الروح الانقلابية التي تمت على المجال السياسي تحتاج الى روح انقلابية مماثلة تنبث في سائر المجالات ولا شك ان الحماسة اللاهبة التي خلقتها الوحدة في نفوس المواطنين تبشر بانهم سيقوون على تحقيق الانقلاب اللازم في نفوسهم ، الا نقلاب الذي يستلزمه العهد الجديد . ومع ذلك فنحن لا نريد ان نعد الوصول الى مثل هذه الروح الانقلابية شيئا هينا لينا ياتي من تلقاء نفسه ولا يحتاج الى تغذية وتوجيه . فمما لا شك فيه ان رواسب الانفصال قائمة ، وان التغلب على عقلية الفرقة ليس بالامر السهل. وهنالك بون كبير بين الايمان بالوحدة وبين القدرة على تجاوز روح الانفصال . وشتان بين الحماسة للوحدة وبين بنائها قوية منيعة .

لقد ربي اكثر الناس في بلادنا ــ بحكم ظروف الاستعمار والاستثمار الطويلة ــ على عادات فكرية وروحية تحتاج الى مقاومة مستمرة ، ومجاهدة دائمة . واولى هذه العادات الروح الفردية التي لم تعهد اسلوب التعاون والعمل الجمعي. ولا نقول جديدا اذا قلنا ان التربية التي تلقاها افراد الشعب عندنا في الماضي تربية تنمي الانانية الفردية على حساب التعاون الجمعي. والتعليم عندنا مسؤول الى حد كبير عن هذه الناحية : فكل شيء في مدارسنا التقليدية مجعول لتنمية روح التطاحن الفردي. وفيها يلعب « الانا » دورا كبيرا ولا نجد مجالا « للنحن » على حد تعبير الفلاسفة . فأنا الذي اتقدم في الدراسة ، وانا الذي اتفوق ، وانا الذي انجح ، وانا الذي اعمل . اما العمل المشترك الذي يذوب فيه الافراد ضمن اطار الجماعة فلا نلقى له اثرا في مدارسنا المألوفة . وغني عن البيان ان محاربة هذه الروح الفردية ، امر له قواعده التربوية واصوله في العالم : من مثل تعويد الطلاب على نظام « الفرائق المدرسية » ، وانشاء التعاونيات المدرسية ، واقامة اعمال مشتركة كالمجلة المدرسية والطباعة وغيرها . ومن مثل ربطهم اليومي بنشاط بيئتهم ومجتمعهم ومن مثل تغيير نظام العقاب والثواب الخ.. ومهما يكن التوجيه عن طريق الثقافة والتربية امرا يحتاج الى وقت ،

فلا بد من البدء به لانه اضمن طريق وابقى وسيلة . على ان هذا لا يحول دون محاربة رواسب الثقافة الانانية الفردية لدى الجيل الذي نشأ عليها بوسائل اخرى مباشرة اكثر . يصدر اكثرها عن طريق تخطيط دقيق لاجهزة الدولة وتوجيه متصل من قبل المشرفين عليها . واذا كان من واجبنا في هذه المرحلة ان نتحدث عن التخطيط الاقتصادي للجمهورية الجديدة ، فمن واجبنا الا ننسى التخطيط الروحي الفكري ، فهو سند كل تخطيط . وما دام الهدف بناء مجتمع تعاوني اشتراكي ، فلا بد ان يغذي التنظيم الاقتصادي والاجتماعي فيه توجيه روحي يغرس العقل التعاوني الاشتراكي ويحسن صياغته . واذا كان العمل في كثير من الاحيان سبيلا مثلى للوصول الى الفكرة المحركة للعمل ، فمن الصحيح ايضا ان من غير الجائز ان يسد العمل النظر ويتردى في الالية وانعدام الشعور . فالافكار قوى، وكل فكرة قوية تحمل من الحرارة ما يجعلها تنقلب الى عمل جديد وما يجعلها تولد دوما من العمل عملا مبتكرا اخر ..

ولن يقدر لنا في هذه الكلمة ان نستوفي جوانب الروح الانقلابية التي يتوجب غرسها في النفوس خلال هذه المرحلة، وحسبنا ان وقفنا هذه المرة عند جانب نعده اهمها ، نعني القضاء على عادات العمل الفردي الاناني وقلب روح التفكير بالذات الى روح تعاونيه اشتراكية يعرف فيها الافراد ان يحتجبوا في سبيل المجموعة . لقد بدأ العهد الجديد بقذف جو جديد في هذا الميدان ، جدير بأن يتابع ويغذى . فلقد اشعر الناس منذ البداية ان تولي امورهم لم يعد مغنما او متعة ، وانه يعني التعب والنصب في سبيل خدمة المجموع . وقد بدأ الناس يدركون أن التسابق على مناصب الدولة بدأ يقام على ارض التباري في القدرة على تحمل المسؤوليات والمشقات والمخاطر . وعاد الى اولياء الامور بعض من شعور العربي القديم ، ولاسيما في صدر الاسلام ، ذلك الشعور الذي كان يملي على الافراد ان الولاية عبء لا يقبل عليه الا من شعر بانه اقدر على تحمل مسؤولياته ومتاعبه. ولعل هذه البداية تجر وراءها يوما بعد يوم انقلابا في فهم الناس للصلة بين الشعب والحكومة، قوامه ادراك الشعب ان من واجبه تخفيف العبء على حكامه المناضلين في سبيله وذلك عن طريق التعاون التام ونكران الذات وتقدير المسؤوليات .

وبعد ان امام العهد الجديد ميدانا اساسيا لا بد ان يقتحمه منذ الايام الاولى ، ميدان النفوس ، وان عليه بعد الجهاد الاصغر جهادا اكبر ، جهاد النفس ، ولا بد ان يبدأ العمل لصياغة النفوس وتوجيهها منذ الفترة الاولى ، وذلك للاستفادة من حرارة الاندفاعة الاولى نحو الوحدة . وكل عمل انقلابي لا بد ان يرافقه عمل انقلابي في عقول الناس ، ولن نستطيع ان ننزع اي انحراف في اعمال الناس قبل ان تنزعه من عقولهم .

عبدالله عبد الدائم

الدوحة ـ قطر ـ الخليج العربي

الكتاب الذي يفضح الاسلوب الاستعماري الفرنسي ويكشف عما ترتكبه الوحشية الفرنسية من فظائع في الجزائر ويحلل نفسية المستعمرين اصدق تحليل .